من الشعراء الكتاب :

القاسم بن يوسف

قحطان رشيد التميمي

المدرس فى قسم اللغة العربية

القاسم بن يوسف بن القاسم بن صبيح[١] شاعر ناثر من ابناء العصر العباسي الأول • ولعل صبيحا كان قبطيا اشتراه السرى بن بشر العجلي[٢] ثم اعتقه ، فهو مولى بني العجل من قرية من قرى الكوفة تعرف بدبا ، يقال ان أباه منها مولى اسلام • وحين أعتقه العجلي تكنى بأبى القاسم[٣] •

وكان ابنه القاسم رجلا جليلا تولى اعمالا كثيرة لهشام بن عبدالملك ، وكان ممدحا يقصده الشعراء لأدبه وسماحته ، ومن هؤلاء الشعراء أبو النجم العجلي ويزيد بن ضبة الثقفي[٤] • وهو شاعر ناثر روى له الصولى نماذج من شعره ونثره[٥] •

وكان أبو الشاعر يوسف بن القاسم مع خاله بشر بن سليمان على ديوان الكوفة ايام بني أمية ، وكتب لعبدالله بن علي عم السفاح[٦] وله فيه شعر • وظل معه حتى هزم عبدالله امام ابي مسلم الخراساني ، ومرّ زمان حتى كان يوسف من كتاب ابى جعفر المنصور[٧] • ويوسف هذا هو الذى كلم الناس بعد موت الخليفة الهادى آخذا البيعة لأخيه الرشيد بعد ان خطب خطبة بليغة تدل على قدرته العالية في مجال النثر الفني[٨] ، ولكل هذا فقد كان أثير المكانة يخلف يحيى البرمكي ـ صديقه ـ ء لى التوقيع وعلى دواوين الدولة[٩] • وكان مقصودا بمديح الشعراء ، وهو بعد هذا جيد الشعر روى له المرزباني[١٠] والصولى[١١] •

واحمد بن يوسف ـ اخو الشاعر ـ كاتب شاعر ، وامره في الكتابة الفنية في عهد المأمون معروف ومشهور ، ولأحمد هذا ولد شاعر كذلك . ولذلك كله صحّ قول المرزباني في هذه الاسرة : « وهم من أهل بيت شعر وأدب وبلاغة »[١٢] .

وشاعرنا القاسم بن يوسف يكنى أبا احمد[١٣] وربما أبا محمد[١٤]. وليس في المصادر التي ذكرته شيء كثير ومفيد عن سيرته ونشأته فهي لا تذكر شيئا عن ولادته أو وفاته . ولكن الثابت انه توفي بعد سنة ٢١٣هـ بزمن ، وهي السنة التي توفي فيها أخوه احمد[١٥] ، فرثاه وعاش بعده مدة كما يقول الصولي ؛ فهو اسن من أخيه ، ولاشك ان شاعرنا قد جاوز السادسة والستين من عمره لقوله[١٦] :

أمن بعد ستين حرمتها ... وخمس وسادسها ان كمل
يضيء القريض بنار النسيـ ... ـب والرأس من شيبه مشتعل

وقد تولى القاسم خراج السواد حين تولى أخوه احمد وزارة المأمون[١٧] .

ويبدو أنه كان يسكن بغداد اذ حنّ اليها وتشوق حين كان في شيراز فقال[١٨] :

الاهل الى ورد العراق سبيل ... بحيث الاخلاء الجميع حلول
تبدلت من بغداد شيراز منزلا ... بلاد وعور ما بهن سهول
دعاك ببغداد هواك وأسبلت ... مدامع منها قاطر وهمول

والقاسم شاعر مجيد يقول عنه الصولي « وما ينبغي ان يسقط شيء من شعره ، لأنه كله مختار وللناس فيه فائدة »[١٩] .وقد نظم الشعر في اغراضه المختلفة .. في المديح والرثاء والزهد والحكمة والشكوى وغير ذلك ..

كان القاسم محبا لآل البيت متشيعا للعلويين مادحا لهم ، فهو يقول[٢٠] :

وقائلة أتمدح قلت اني ... أخص بمدحتي آل الرسول
يطيب الفرع حين يطيب أصل ... ويخبث من خبيثات الاصول

وهو يصرح بحبه للامام علي وبأنه الوصي بعد النبي (ص) فيقول[٢١]:

حلفت برب الورى المعتلي ... على خلقه الطالب الغالب
لأحمد خير بني غالب ... ومن بعده ابن أبي طالب
فهذا النبي وهذا الوصي ... ويعتزل الناس في جانب

وله كذلك[٢٢] :

أيها السائل عن خير الورى ... خير من تحت السموات نزار
وقريش ذروة المجد وفي ... هاشم أرست فمثوى وقرار
مغرس طاب فأثرى محتدا ... واستطال الفرع والعود نضار

ومن شعره يمدح الحسن بن سهل[٢٣] :

من غاله حدث أو خانه زمن ... فالمستعان عليه الله والحسن
ولا يحول اعتلال دون نائله ... ولا يمنّ وان كانت له منن
لولا رجاؤك لم تشسع بطيتنا ... مرو ولم يترك الاهلون والوطن

وله يمدح اسحق بن ابراهيم المصعبي[٢٤] :

وامدح الماجد الكريم وحق الـ ... مدح للماجد الكريم النجيب
ان اسحق قد تكامل فيه الـ ... ـفقر من عفة وطهر وطيب
حازم رأيه قؤول فعول ... ومصيب اذ لا يرى من مصيب
وسع الناس عدله ونداه ... ففدوه بألسن وقلوب

والمتأمل في مديح الشاعر يجده لا يخرج عن معاني المديح المألوفة المعروفة .. فهو كغيره من المادحين يشيد بعطاء الممدوح ونواله ، ويذكر عفته ورجولته واصالة نسبه .

ومذهب الشاعر الشيعي واضح في شعره ، فهو لا ينفك يصرح بأن الامام عليا هو الولي والوصي[٢٥] :

بأحمد اغلق باب الضلا ... ل وهدم اركانه فانهدم
فارحامه منه ادنى اليـ ... ـه وأولى به منهم بالرحم
عليهم لهم فضل قرباهم ... وذو السبق منهم أخ وابن عم
ولي وصي ومولاهم ... على رغم انف من قد رغم
أقام لنا الدين بعد الرسو ... ل ولو لم يقمه لنا لم يقم

ومع هذا الميل نحو العلويين فاننا نجد الشاعر يمدح العباسيين الى جانب مديحه للعلويين[٢٦] :

وامتدح اسرة الرسول تنل ... حظا من الفوز ان اردت امتداحا
آل عباسنا وآل علي ... وبني جعفر تلاق رباحا
فهم العم والأخ والصهر والط ... ـيار في جنة أعير جناحا
فيهم الوحي والنبوة والـ ... ـحكم ولا تخش في المقال جناحا

وبعد .. فمديحه للرسول وبني ارحامه كثير ، لا يبالغ فيه ولا يغالى فهو انما يمدحهم بما عرفوا به من نبوة وتقوى وصلاح ..

ورثاؤه لونان : رثاء الانسان ورثاء الحيوان .. وأشهر مراثيه في الامام الحسين واخيه احمد وولده محمد .. فله في رثاء الحسين (ع) قصيدة في خمسين بيتا تحدث فيها عن خروجه الى العراق مليبا دعوة العراقيين الذين تخلوا عنه وخذلوه فهو يقول[٢٧] :

سلم على قبر الحسين وقل له ... صلى الاله عليك من قبر
وسقاك صوب الغاديات ولا ... زالت عليك روائح تسرى
كتبوا اليك وارسلوا رسلا ... تترى بما وعدوا من النصر
اعطوك بيعتهم وموثقهم ... بالله بين الركن والحجر

حتى اذا اصرخت دعوتهم طلبا لوجه الله والاجر
ختروا مواثقهم وعهدهم لا يرهبون عواقب الختر

وبعد ان يصب لعنته على بني أمية وبني سمية .. يعود فيتفجع على الحسين ومن قتل معه باكيا تملأ نفسه الحسرات فيقول :

ما تنقضي حسرات ذى ورع ودم الحسين على الثرى يجرى
ودماء اخوته وشيعته مستلحمين بشاطىء النهر
خذلوا وقلّ هناك ناصرهم واستعصموا بالله والصبر
فابك الحسين بمضمر قرح وابك الحسين بمدمع غزر
حقّ البكاء له وحقّ له حسن الثناء وطيب النشر

ويموت أخوه احمد فيرثيه رثاء صادقا ويبكيه بكاء حارا ، تظهر فيه معاناته وآلامه مقدمة حكميه تحدث فيها عن الدهر وما يصنعه بالاخوان. فلا يبقى عزيزا ولا يقبل عثرة مستقيل[٢٨] :

رماك الدهر بالخطب الجليل فعزّ النفس بالصبر الجميل
عزاءك قد حدا بأخيك حاد وناداه المنادى بالرحيل
ومالك بعد احمد من عزاء ومالك بعد أحمد من ذهول
فكيف عزاء ذى قلب قريح من الفجعات والحزن الطويل
أترجو سلوا وأخوك ثاو ببطن الأرض تحت ثرى مهيل
ألا ابك أخاك بالدمع الهمول لعل الدمع يبرد من غليل
ثمال للارامل واليتامى وللجار المجاور والدخيل
حفي بالاقارب والادانى كفعل الوالد البر الوصول

وله في رثاء ابنه محمد قصائد[٢٩] تتميز بصدق المعاناة وعمق الالم ، وهو في كل مراثيه لا يخرج عن دائرة الراثين القدامى من حيث تعداد مناقب الميت والاشادة بكرمه وبكونه ربيع المعتفين والمعين لليتامى والأرامل .

اما رثاؤه للحيوان والبهائم فقد استغرق كثيرا من شعره ، وجعل وكده فيه[٣٠] ، وهو في هذا الضرب من الرثاء اشعر من جميع المحدثين حتى انه لرأس فيه متقدم جميع من نحاه[٣١] • ولعل رثاء الحيوان لون من التجديد اصاب شعر الرثاء في عصر بني العباس • والقارىء في رثائه لهذه الحيوانات من عنز وهرة وطير يشعر بأن القاسم كان محبا لها متعلقا بها يصدق في رثائه لها • وقصائده في رثاء هذه الحيوانات طويلة •• اذ انه يطنب في وصفها وفي ذكر منافعها وفوائدها •• قال يرثي عنزة سوداء[٣٢]:

عين بكي لعنزنا السوداء ... كالعروس الأدماء يوم الجلاء
ذات لون كالعنبر الورد قد عـ ... ـلّ بما فاق لون الطلاء
ذات جيد ومقلتين كوحـ ... ـشية قفر من جاريات الظباء
بوركت حفرة تضمنت السو ... داء بل ضمنت من السوداء
كيف لي بالعزاء لا ، كيف عنها ... سلبتني السوداء حسن العزاء

ويبدو الشاعر في رثائه لعنزته وكأنه يرثي عظيما من العظماء أو علما من الاعلام اذ يقول :

واصبنا من السويداء ما يقـ ... ـصر عنه تعداد ذى الاحصاء
كنت غيثا حيا وكنت ربيعا ... لك طيب الثنا وحسن الثناء
لو فدى الحيّ ميتا لفدينا ... ك رخيصا ان كان أو بغلاء

ويكشف عن ألمه وفجيعته في رثائه لأحد طيوره[٣٣] :

أوحشت منك أبا سعـ ... ـد عراص وديار
فجعتنا بك أقدا ... ر لها فينا الخيار
قرحت بعدك أكبا ... د من الوجد حرار
وبكى يومك أهلو ... ن وجارات وجار
وسقى حفرتك الغيـ ... ـث وجادتها القطار

ويرثي هرة فيشير الى جميل صحبتها وعظيم نفعها فيقول[٣٤] :

ألا قل لمخة أو ماردة تعزّوا عن الهرة الصائده
وكنا بصحبتها حامديـ ـن وكانت بصحبتنا حامده
فعن لها عارض للردى فأمست بتربتها هامده
واصبحت الفأر في دورنا أوامن صادرة وارده
لها قنص كاقتناص الفهو د واثبة فيه أو لابده

ولاشك في ان رثاءه للحيوان مزيج من وصف طويل جميل ومن ضرب للحكمة التي لا يخلو منها رثاء .

وللقاسم في الزهد والحكمة شعر كثير ، وتدور معاني زهدياته حول الموت والانسان والمصير والقناعة وما الى ذلك مما الفناه في شعر أبي العتاهية واضرابه من شعراء الزهد . ويبدو ان الشاعر قال في الحكمة والاعتبار ما قال بعد ان خطا به العمر سن الشباب فهو يقول من قصيدة[٣٥] :

ودع شبابك قد علاك مشيب وكذاك كل معمر سيشيب
جازت سنوك الاربعين فازعجت بله الشباب تجارب وخطوب
ما هذه الدنيا بدار اقامة لا توطنن بها وأنت غريب
وغدا جزاء سعادة أو شقوة أفلا ينيب الى الرشاد منيب
والموت يغتال النفوس ولم يزل للموت راع للنفوس طلوب
ما نحن الا كالبهائم رتعا حتى يتاح لها الردى المجلوب

ويقول في قصيدة ثانية[٣٦] :

ويوم البعث يجمعهم لديه الواحد الصمد
وتقوى الله منجاة ووعد الحق ما يعد

ويتحدث عن مصير الانسان ووحدته في قبره فيقول[٣٧] :

يا ساكن الدور عن قليل تصير من ساكني القبور

يومك هـذا عـلى مهـــــاد ثم غـــدا راكب الســـــرير
منفـردا نازحـــا غريبـــا غـير معـــــود ولا مـــزور

وهو يدعو الى التقوى وعدم الانخداع بالدنيا فيقول(٣٨) :

حـذار من الأيام لا تأمننهـــا فتخـدعك الايـام وهي خوادع
يرجي الفتى والموت دون رجائه ويسرى له سارى الردى وهو هاجع
ترحل من الدنيا بزاد من التقى فانك مجزي بمـا أنت صانـع

وله في القناعة(٣٩) :

قنـــوع النفس يغنيهـــا وقـوت النفس يكفيهـــا
وان لـــم يرضهـا القـــوت فمـــا شـيء بمرضيهـــا
الا ايتهـــا النفـــس الـ ـتي المـــوت ملاقيهـــا
دعي الدنيـــا لمـــن نافـ ـس في الدنيـــا يقاسيها

ولعل الوضوح والطابع النثرى والجفاف ابرز ما يطغى من ميزات على هذا اللون من شعر الشاعر ، وقد نجد هذا اللون الزهدى في قصائد مستقلة خاصة وربما نجده في قصائد رثائه .

وشكا الشاعر كغيره من الشعراء الدهر وما يلحقه بالناس من اذى وظلم ، وأوضح ما نجد مظاهر هذه الشكوى في شعر الرثاء عنده ، وشكا القاسم كذلك الحشرات والحيوانات المؤذية الضارة كالنمل والفأر والبق والبراغيث والعصافير والحيات .. وهو حين يشكوها يصفها وصفا جيدا يتحدث فيه عن حركاتها وعما تصنعه بفريستها من بني الانســـان تقض مضجعه ، وتسهده .. وتسفك دمه ، قال يشكو البق والبراغيث(٤٠) :

قد منينـــا بهنـــــات هـن من شر الهنـات
نافـرات آمـــرات قلقـــات مقلقـات
سـافكات لـــدماء الـ ـناس منهـــا شاربات

معنا في الفرش والـ ـقمص علينا واثبات
تخضب الاصبع والـ ـثوب دما من داميات
جارحات داخلات مسهرات ساهرات
طعنها أنفذ في الـ أبدان من طعن الكماة

ويشكو الفئران وما تحدثه من خراب في البيوت وأذى في النفوس فيقول(٤١) :

خراب الدور عامرها فواقعها وطائرها
لنا جارات سوء مؤ ذيات من يجاورها
حوارث غير زارعة اذا انتشرت عساكرها

وينتقل الى الحيات فيقول :

وفي الجارات حيات تساور من يساورها
كبسط الحبل بسطتها ودور الترس دائرها

والعصافير تنبش السقوف وتنثر الريش وتخرب ما تخرب :

فأما الطير ان وصفت فأخبثها عصافرها
كأن معاول الحدا د توعيها مناقرها
اذا قرعت بها سقفا تبوأ فيه واكرها
تجاورها خطاطيف تخالطها زرازرها
وتملأ دورنا ريشا ألا شلت عواشرها

والقاسم في وصفه لهذه الحيوانات والحشرات وصاف مجيد ، وصفها وهو يرقبها عن قرب ويعيش اذاها ويتحمل أوزارها ، ولعله في هذا اللون من الوصف والشكوى قد مهد الطريق لشعراء جاؤا بعده اكثروا من شكوى الحشرات المؤذية كالزعفراني(٤٢) والثعالبي(٤٣) والصابي(٤٤) من شعراء العصر البويهي .

وله في الغزل[٤٥] شعر ولكنه لا يدل على اصالة وصدق معاناة وانما هو أقرب الى أن يكون تقول شاعر ..

وتفخم عبارته وتعلو صيحته حين يتحدث عن نفسه بعزته وبعزوفه عن الطمع .. فهو يكتفي بالقليل موفرا ماء وجهه غير راض لنفسه ذل الطلب ومنّة اللئام[٤٦] :

سأطلب بالاجمال ما أنا طالب ... واني اذا ما ضاق رزق لقانع
ولم تدنني والحمد لله فاقة ... الى طمع تدعو اليه المطامع
ولا ضرعت نفسي لشيء أناله ... وبعض الرجال خاشع متضارع
أمصّ ثمادى والبحار غزيرة ... لئلا يرى عندي لقوم صنائع
ولم يتعبدني اللئام بمنة ... ولا أنا للشيء الذى فات تابع
واني لأستغني فما أبطر الغنى ... وما المال الا عارة وودائع
أبى الله لي الا علوا ورفعة ... وليس لما لم يرفع الله رافع

وللشاعر في بيته .. واني لأستغني .. ينحو منحى لبيد فى قوله[٤٧]:

وما المال والاهلون الا ودائع ... ولابد يوما ان ترد الودائع

وقد مربنا شيء غير قليل من وصفه للحيوانات والحشرات في معرض مراثيه أو شكواه ، وكما أجاد في هذه الأوصاف فقد أجاد كذلك في وصفه للديار الخاليات والاطلال الدوارس ، كما في قوله[٤٨] :

قفا صاحبيّ نحيّ الطلل ... وربعا محيلا بجرع الرجل
ورسما لليلى بذات الطلوح ... كسفر اليهودى أو كالخلل
اذا استنطقته الصبا والجنوب ... تنوّح مرتجزا واستهل
يضيء سنا برقه ساطعا ... كأنك أضرمت فيه الشعل
أيا ربع ليلى محاه البلى ... واخنى عليه زمان جبل
وبدل بالأنس وحش الفلا ... فبئس بديلا ونعم البدل

ويقول في قصيدة أخرى[٤٩] :

ألم تسألا بجنـــوب الســـلا م فتستخبرا دار مي ألـــم
بلى وأســألا ان اجابتكمـــا وأنى لدارس رجـع الكلم
وكل شـــمالية هطلـــة اذا ما بكت خلتهـــا تبتسم
تـدر اذا ما مرتهـــا الجنـو ب لواقحهـا بـدموع ســجم
فقد كسـيت من ثياب البـــلى رسـوما تدوم عليهـــا الديـم
كسحق البرود ووحي الزبـو ر رقشـــه كاتب بالقـــلم

وليس بعيدا ان يكون الشاعر قد تأثر في جانب من معانيه الوصفية المتقدمة بايحاءات من قول المرقش الاكبر في قصيدته التي أولها[٥٠] :

هل بالديار ان تجيب صمـــم لو كان رســـم ناطقا كلـــم

وبعد .. فلعل الناظر في شعر القاسم يجده يعنى بفنون البديع في غير تكلف ثقيل ، وابرز ما يعنى به الشاعر هو التناظر اللفظي في كثير من ابياته كمثل قوله يتشوق الى العراق[٥١] :

وشاقك من عجـل تعجل لوعة وما لك عن ذهل هناك ذهـول

وكقوله في بيته الذى تقدم .. فقد كسيت من ثياب البلى ...

وفي قوله يتحدث عن بني أمية[٥٢] :

هشموا بهاشـمة وحـاق بهـم ما قدموا من سيء المكـــر

ومن مظاهر الصنعة اللفظية في شعره هذا السجع الداخل في بنـاء ابياته وهو ما يعرف بالترصيع ، من مثل قوله في الزهد[٥٣] :

رهن ضـريح لـدى صفيـح كســته ريـح ثياب مـور
قـرب مـزار وبعـد دار ولا تـلاق الى النشـور

وقوله في رثاء ابنه[٥٤] :

بعيـــد دار غريـب جـــــار قـد فـارق الالف والقرينـــا

وقوله في مديح الهاشميين[٥٥] :

سادة قادة حماة لدى الـــرو ع اذا اصبح الحـمى مستباحا

والشاعر كثير الولع بالألوان وخاصة حين يصف الحيوان والطير. ولعل هذه العناية بالألوان تزيد في وضوح الصورة الشعرية التي يريدها الشاعر كما في قوله يرثي طيرا[٥٦] :

كـأن في صورتـــه لون بياض واصفـرار

كأن في المنقـار والـ ساق اصفرار واحمرار

وقوله يرثي هرة[٥٧] :

ورقطاء تمشـي على بطنهـا وسوداء شـامذة عاقـــده.

وقوله في رثاء القمرى[٥٨] :

كأن عينيـــه ياقـــو تتان حمـــــراوان

كأن رجليـه مصبـــو غتـان من أرجوان

وأخضر اللون يحكي لباس أهـل الجنـان

وقد يعمد الشاعر الى تقطيع الأبيات تقطيعا متساويا ليفضي عليها حلاوة موسيقية .. كما في قوله واصفا[٥٩] :

وأهـــل المناخ وأهـــل المراح وأهـــل القباب وأهـل الخيم

وبيض الوجوه حراض العيـو ن هضام الكشوح حسان اللمم

خماص البطون لطاف الحشـا جذبن بجـذل عنـــان الأدم

قصـار الخطـا عائفات الخنـا كرام الثنـا طيبات النســـم

ويميل القاسم احيانا الى تكرار العبارة في القصيدة الواحدة لتوكيد المعنى في النفس ، وكثيرا ما يقع هذا اللون من التكرار في الرثاء ليوحي

الشاعر بعظم المصيبة النازلة وفداحة الفجيعة التي اصابته ، نقرأ مثل هـذا في رثائه لأخيه أحمد[٦٠] :

رماك الدهـــر بالخطب الجليل ... فعزّ النفس بالصبر الجميـــل
فان الدهـــر بالحدثان رهـن ... وكـل سـالك قصـــد السبيل
وان الدهـــر طـلاب دروك ... وســباق بأوتـار الذهـــول
وان الدهـــر لا يبقي عزيـــزا ... ولا تنبـو يداه من الذليـــل
فان الدهـــر لا عتبى عليـــه ... وليس يقيـــل عثـرة مستقيل

ومثل هذا نجده في رثائه لأبنه محمد[٦١] :

أسفا عليك أبـا علـــ ... ـي والمنايـــا رصّـد
أسفا عليك أبـا علـــ ... ـي يوم ضمك ملحد
أسفا عليك بحســـرة ... بين الحشـــا تتوقـــد
أسفا عليك بحرقـــة ... وحرارة لا تبـــرد

هذا الذى تقدم يجيز لنا ان نقول : ان القاسم شاعر محسن ، جيد العبارة ، مليح الشعر[٦٢] . قال احدهم وقد ذكر شعر الكتاب : « اشعرهم عندى الذى مزحه أفصح وأحسن من جـد الناس »[٦٣] وفيه يقـول المرزباني : « شاعر حسن الأفتنان في القول »[٦٤] .

وقد قلنا في أول الحديث ان القاسم ناثر الى جانب كونه شاعرا ، فما حظه من النثر ؟ الواقع انه ليس بين ايدينا نصوص نثريـة لـه تكفي لتمكين الباحث من ان يحكم حكما قاطعا في نثره الفني . يقول ابن النديم في الفهرست متحدثا عنه :« أخو احمد بن يوسف وكان شاعرا مترسـلا وله كتاب رسائل »[٦٥] ولكن كتاب الرسائل هذا غير معروف ، ولكن قطعتين نثريتين ذكرهما الصولي تنبئان عن قلم نثرى جيد يصطنع السجع المزدوج في غير ثقل أو تكلف ، في اسلوب واضح سهل تميّز به نثر العصر

العباسي الأول .. كتب في القطعة الأولى يطلب الرضا لأحدهم[٦٦] :

« قد أحلك الله من الشرف في أعلى ذروته ، وبلغك من الفضل أبعد غايته ، فالآمال اليك عايله ، والاعناق نحوك مائلة ، واليك تنتهي الهمم السامية ، وعليك تقف الظنون الراجية ، لا يستريث نجحا من رجاك ، ولا تعروه النوائب في ذراك ، وفلان ممن قدمت بك حرمته ، وطالت لك خدمته ، ووجبت لك حقوق عليه ، وهي أوكد وسيلة ، وأقصد ذريعة ، وقد فرط جرم ما تعمده ، وخطأ جرى القضاء به ، وفي عتبك ما قوّمه ، وفي عفوك ما تلافي زلته ، ان شاء الله » .

وله قطعة أخرى كتبها الى صديق له ، وتتميز بالجمل القصار مع الاهتمام بالسجع طلبا للتنميق وبحثا عن الزخارف اللفظية ، قال القاسم[٦٧]:

«ظلمت ـ أعزك الله ـ وما أنصفت، وأسأت وما أحسنت، تأتي ذلك اختيارا، ولا تتبعه اعتذارا ، حتى اذا لدغت بلظى المكافأة ، وسلك بك طريق المجازاة ، جعلت ذلك لنا ذنبا ، والزمتنا له عتبا ، ومن لم يعرف قبيح ما يبلى ، لم يعرف حسن ما يولي ، ولله در القائل :

اذا ما امرؤ لم يحمل الحقد لم يكن
لديه لذي نعمى جزاء ولا شكر

فالقطعة تتميز بالعبارة الواضحة والبناء الجيد ، وهي تدل على ان الكاتب ربما يزوق نثره بشيء من الشعر على عادة الكثيرين من الكتاب .. والقطعتان بعد كل هذا تدلان على ان القاسم كاتب مجيد وبليغ .

وبعد .. فالقاسم بن يوسف واحد من الشعراء الكتاب الذين يجدر بنا أن نلم بهم وان نتناول آثارهم بالعناية والبحث .

« مصادر البحث »

(١) في الوزراء والكتاب للجهشياري ١٣١ ط . البابي الحلبي « بصيغة التصغير » وفي معجم الشعراء للمزرباني ٢١٦ ضبط بفتح الصاد .

(٢) الاوراق للصولى (اخبار الشعراء) نشر ج٠ هيورث دن ـ ١٤٤ ٠ ويرى بعضهم ان الذى اعتقه بحر بن العلاء العجلي ـ ١٤٣ ـ ٠ ويذكر ابو الفرج الاصفهانى فى اغانيه ٢٢/٥٦٥ ط٠ الثقافة فى ترجمته لاحمد بن يوسف : « ان القاسم بن يوسف كان ينتمى الى بني عجل ولم يكن أخوه أحمد يدعي ذلك » ٠

(٣) المصدر السابق ١٤٣ ٠

(٤) المصدر نفسه ١٤٤ ٠

(٥) المصدر نفسه ١٤٥ـ١٤٦ ، وزهر الآداب للحصرى ٤٤٧ ط٠ البابي الحلبي ٠

(٦) الوزراء والكتاب للجهشيارى ١٣١ ٠ ومعجم الشعراء للمرزباني ٥٠٤ ٠

(٧) اخبار الشعراء ، الصولي ١٥٠ ٠

(٨) المصدر السابق ١٥٤ ٠

(٩) كذلك ١٥٦ ٠

(١٠) معجم الشعراء ٥٠٥ ٠

(١١) اخبار الشعراء ١٦١ ٠

(١٢) معجم الشعراء ٥٠٤ ٠

(١٣) معجم المرزباني ٢١٦ ٠

(١٤) اخبار الشعراء ١٦٣ ٠

(١٥) اخبار الشعراء ٢٣٦ ٠

(١٦) اخبار الشعراء ١٨٨ ٠

(١٧) كذلك ٢٠٦ ٠

(١٨) كذلك ١٩٠ ٠

(١٩) كذلك ١٦٤ ٠

(٢٠) كذلك ١٩١ ٠

(٢١) كذلك ١٦٧ ٠

(٢٢) كذلك ١٨٠ ٠

(٢٣) كذلك ٢٠٥ ٠

(٢٤) كذلك ١٩٧ ٠

(٢٥) كذلك ١٩٢ ٠

(٢٦) كذلك ٢٠٠ ٠

(٢٧) كذلك ١٨١ ٠

(٢٨) كذلك ١٨٥ ٠

(٢٩) كذلك ٢٠٣ـ٢٠٤ ٠

(٣٠) الاغاني ٢٢/٥٦٥ ط٠ الثقافة ٠

(٣١) اخبار الشعراء ١٦٤ ٠

(٣٢) كذلك ١٦٤ ٠
(٣٣) كذلك ١٧٦ ٠
(٣٤) كذلك ١٧٢ ٠
(٣٥) كذلك ١٦٨ ٠
(٣٦) كذلك ١٧٤ ٠
(٣٧) كذلك ١٧٩ ٠
(٣٨) كذلك ١٨٥ ٠
(٣٩) كذلك ٢٠١ ٠
(٤٠) كذلك ١٧١ ٠
(٤١) كذلك ١٧٥ ٠
(٤٢) يتيمة الدهر ، الثعالبي ٣/٣٥٤ط٠ السعادة ٠
(٤٣) خاص الخاص للثعالبي ٢٣٦ ط٠ مكتبة الحياة ، بيروت ٠
(٤٤) اليتيمة ٢/٢٦٨ ٠
(٤٥) اخبار الشعراء ١٧٣ ٠
(٤٦) كذلك ١٨٤ ٠
(٤٧) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٩٨ ط٠ دار الثقافة ٠
(٤٨) الشعر والشعراء ١٨٧ ٠
(٤٩) كذلك ١٩١ ٠
(٥٠) المفضليات للضبي ٢٣٧ ط٠ دار المعارف ٠
(٥١) اخبار الشعراء ١٩٠ ٠
(٥٢) كذلك ١٨٢ ٠
(٥٣) كذلك ١٧٩ ٠
(٥٤) كذلك ٢٠٣ ٠
(٥٥) كذلك ٢٠٠ ٠
(٥٦) كذلك ١٧٨ ٠
(٥٧) كذلك ١٧٢ ٠
(٥٨) كذلك ١٩٤ ٠
(٥٩) كذلك ١٩١ ٠
(٦٠) كذلك ١٨٥ ٠
(٦١) كذلك ٢٠٤ ٠
(٦٢) الاغاني ٢٢/٥٦٥ ٠
(٦٣) اخبار الشعراء ١٦٦ ٠
(٦٤) معجم الشعراء ٠ المرزباني ٢١٦ ٠
(٦٥) الفهرست ٠ ابن النديم ١٨٤ ط٠ الاستقامة ٠
(٦٦) اخبار الشعراء ١٩٧ ٠
(٦٧) كذلك ٢٠٦ ٠